المصدر: الاهرام
التاريخ : ١٨ يونيو ٢٠٠٢

في مقالي السابق (الثلاثاء ٢٠٠٢/٦/٤) نشرت جزءا من تقرير المبعوث الأمريكي السيناتور جون دانفورث لنطرح رؤية مصرية وطنية حول أهمية «مستقبل السلام في السودان»، ولأننا نعيش عصر «الشفافية» عند الحاجة إليها، فقد صار متاحا لنا «مضابط» الكلمات التي سجلت في جلسة الاستماع «للجنة العلاقات الدولية» لمجلس النواب الأمريكي التي عقدت يوم ٥ يونيو ٢٠٠٢، التي خصصت لمناقشة هذا التقرير ولفحص «الخطوة التالية» في طريق السلام في السودان.

وهكذا يتضح أن العالم الغربي على جانبي الأطلنطي مشغول بـ«دفع» عملية السلام في السودان، بينما نحن نحاول - في مصر والعالم العربي - جاهدين لتحريك قضية السلام في فلسطين، والمثير للدهشة أن بعض الدول الأوروبية والإفريقية صار لكل منها دبلوماسي متخصص متابع، بل ومهموم بالملف السوداني، في الوقت الذي لا نجد تحركا بارزا مماثلا في دوائرنا لكي نعضد ونسهم مع الغرب وإفريقيا في حل المعضلة السودانية في الوقت الذي نكرر فيه أن مصالح مصر «الاستراتيجية» متأثرة بل مرتبطة بما سيجري في السودان، ذلك أن حل مشكلات مصر الكبرى - من مياه وتفجر سكاني وتنمية مشتركة وأمن قومي - مرتبط بشكل أو بآخر حاليا ومستقبليا بـ:

مستقبل السلام في السودان (٢)

عباقرة أكثر اشراقا
د. ميلاد حنا

تمكنت الإمبراطورية الرومانية القديمة من أن تسيطر أو تهيمن على كل أراضي الدول والشعوب التي تقطن على شواطئ البحر المتوسط، وكأنه بحيرة مقفلة تملكها وحدها وأطلق عليه العرب عبارة «بحر الروم»، فقد أقامت شبكة طرق رائعة تحكم من خلالها سيطرتها على هذه الإمبراطورية التي أخضعت حضارات قديمة كثيرة تحت قبضتها، لذا أطلقت على القرن الثاني الميلادي عبارة صارت مضرب الأمثال وهي باللغة اللاتينية تنطق «باكس رومانا Bax Romana أي عصر سيادة «السلام الروماني»، أي السلام الذي تفرضه القوى الأعظم وقتها.

وها نحن نعيش عصر السيطرة الأمريكية، ورغبنا - أن نجمل لأنفسنا شكل السيطرة - حتى لا نشعر بالضيق، فأطلقنا على حقبة ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ عبارة «باكس أمريكانا Bax Americana، وإن كانت الحقيقة هي أن هذه الفترة قد بدأت قبل ذلك بنحو عشر سنوات عندما تفكك الاتحاد السوفيتي وتم انتصار أمريكا «وحلفائها» في حرب الخليج، وأحسب أن حقبة باكس أمريكانا ستطول لسنوات قادمة ليست قليلة إلى أن تبرز قوة جديدة تقاوم أو توازن أو تناوئ، أو تناطح أمريكا، ممثلة في الاتحاد الأوروبي أو في الصين أو - بنوع من الخيال - في تحالف «صاعد» ممثلا في نواة حضارية لتحالف بين حوض النيل مع الهند، ويلتف حولهما مجموعة دول عربية وإفريقية، لكنها فكرة غير واضحة أو متبلورة بعد، لا في خيال «مفكري» مصر والسودان من جانب، فهم غارقون حتى أذنيهما في حرب فلسطين والسودان، أو لدى حكام الهند من جانب آخر، فهم غارقون كذلك في صدامهم مع باكستان، لكنه «خيال» مفكر مصري يحلم، وربما «شطحات»!!

وفي إطار مثل هذه «الشطحات» رجعت إلى مقال كنت قد كتبته لجريدة «الحياة» اللندنية ونشر بالفعل في ١٤ تموز (يوليو) عام ٢٠٠١ بعنوان «السودان في طريقه إلى السلام بعد حرب داخلية طويلة ودامية.. وقد يسبق فلسطين»، وفي سياق المقال ذكرت أنه: «منذ أن وصل جورج بوش الابن إلى البيت الأبيض، لم يخف رغبته في أن يحقق «السلام» في السودان»، ثم ذكرت أن: «لدي إحساسا داخليا عميقا لا يستند إلى تحليل يقيني بأن الوصول إلى سلام أو إلى بداياته في السودان قد يسبق الوصول إلى سلام حقيقي في فلسطين».

وقد سجلت هذه الرؤى على ورق - في هذا المقال وغيره - قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وقبل اجتياح شارون لقهر السلطة الفلسطينية واصطياد شباب المقاومة الذين أقلقوا مضاجعه وحصل على مباركة أمريكا بدعوى «مكافحة الإرهاب». فقد كان واضحا من ثنايا تلميحات بوش أن توجهه هو لشق طريق «السلام» في السودان، فقد تأكد أنه يعوم على بحيرة بترول، وهو ما تم بالفعل عندما عين دانفورث مبعوثه الشخصي يوم ٦ سبتمبر عام ٢٠٠١، وقدم تقريره إلى بوش في ٢٦ أبريل ٢٠٠٢، وهو ما قدمناه في مقالنا السابق، وتمت مناقشة هذا التقرير في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب الأمريكي في ٥ يونيو ٢٠٠٢، كما سنذكر فيما بعد ، أي أن عصر «باكس أمريكانا» قد قرر طريق «السلام» في السودان خطوة خطوة وباستخدام «العصا والجزرة»، وطريق القهر والقتل قبل أن يقرر إطلاق حمامة السلام على أرض فلسطين في وقت يخطط له الخبراء على نار «هادئة» وبأعصاب باردة، وكانت رؤيتي هذه - كما ذكرت وسجلت - منذ نحو ١١ شهرا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

■■■

من حق القارئ علىّ - وقبل أن أسترسل فى طرح الصعوبات المتوقعة كما طرحت فى مجلس النواب الأمريكى - أن أوفى ما وعدت به، من تسجيل بعض فقرات أخرى منتقاة من تقرير جون دانفورث، فهو وثيقة مفصلية يتوقف عليها مستقبل السلام فى السودان، كتب دانفورث يقول:

● بخلاف قصف المدنيين، لا يوجد أمر يقلق الأمريكيين أكثر من استمرار وجود «الرق» فى السودان.

● اتجهنا لأن تلتزم الحكومة (السودانية) لتعزيز وتفعيل لجنتها الخاصة «بمحاربة الرق»، كما التزم الطرفان (الحكومة وحركة تحرير السودان) بتسهيل زيارة وفد بقيادة الولايات المتحدة ومدعومة دوليا من ثماني شخصيات مرموقة للقيام بتقويم الموقف وتقديم توصيات لجميع الأطراف للقيام بإجراءات عملية تضمن القضاء على هذه الانتهاكات.

● قامت الحكومة السودانية بتعزيز لجنتها المختصة بهذه القضية بأن وضعتها تحت الإشراف المباشر لرئيس الجمهورية، وباختيار نائب وزير - يحظى بالاحترام - كرئيس جديد للجنة، ومن جانبنا قامت الخارجية الأمريكية بتشكيل لجنة تحقيق برئاسة بين كامبل Penn Kamble نائب مدير إذاعة صوت أمريكا، شاركت فيها شخصيات محنكة وبارزة من بريطانيا والنرويج وإيطاليا وفرنسا، وقد أتمت هذه اللجنة أولى زياراتها الميدانية يوم ١٨ أبريل، ومن المتوقع أن تضع هذه اللجنة التوصيات المطلوبة منها.

● لقد أوضحت على الدوام أن الولايات المتحدة لا تعتزم إطلاق مبادرة سلام أمريكية، فهناك بالفعل مبادرات سلام كثيرة، وينبغي أن يكون هدفنا هو تدعيم هذه المبادرات، وليس إضافة مبادرات أخري إليها، فبدلا من تقليل شأن عمل الكينيين والمصريين، يتعين علينا تشجيعهم على التعاون بين بعضهم البعض، ويبنون على جهودهم السابقة.

● أعجبت كثيرا بجهود الرئيس موى لبعث الحياة لعملية السلام من خلال مبادرة «الإيجاد»، فقد التقى بى الرئيس موى ثلاث مرات لبحث السلام ووجدته ملتزما إلي أبعد الحدود للوصول إلى اتفاق سلام مبكر للسودان، وكان أن حصل على تفويض من الإيجاد فى مارس وأصدر قراره بتعيين الجنرال القدير لزاروس سمبيو Lazarus Sumbeiywo رئيس أركان الجيش ليكون مبعوث كينيا فى عملية السلام، وهو يعمل جاهدا لإقناع كل من الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان بالاتفاق حول إطار تفاوض يسعى لرفع المعاناة وتحقيق الطموحات المشروعة لجنوب السودان فى إطار الجهود الرامية للحفاظ على وحدة البلاد.

● لقد تحدثت مع الرئيس موى والرئيس مبارك فى شأن تنسيق جهودهما لكى تكون مبادرتاهما متكاملتين أفضل ما تكونان متنافستين.

وكان ردهما إيجابيا، وقد أكد الرئيس موى أهمية مصر بالنسبة للسلام فى السودان وطلب مساعدة الولايات المتحدة فى السعي للتنسيق بين مبادرتيهما. وقد أكد لى الرئيس مبارك أنه يريد التعاون مع كينيا، وأنه على استعداد للتنسيق بين المبادرة المصرية ومبادرة الإيجاد. إننى أعتبر آراء الرئيس مبارك بالنسبة للسودان والالتزام المصرى بزيادة التعاون مع الإيجاد تقدما رئيسيا.

● منذ اجتماعي مع الرئيس مبارك، قام الجنرال سمبيو بزيارة القاهرة لبحث تحسين التنسيق، كما يعكف الآن على كيفية إشراك مصر فى عملية التفاوض، وهى محاولة يتعين علينا دعمها بقوة.

ويختتم جون دانفورث هذا الجزء الأوسط من تقريره بذكر استنتاجات حاكمة وهى:

● إننى أعتقد أن هناك تطورا آخر ملحوظا ومهما، وهو أن التوازنات الدولية قد تحسنت كثيرا من خلال التعاون والتنسيق بين الولايات المتحدة من جانب، ومجمل الحكومات الأوروبية المعنية من جانب آخر، ففى الماضى كان للخلافات الكبيرة - والمبالغ فيها - بين مواقف الولايات المتحدة وأوروبا نقول: كان لها تأثير على السودانيين فى غير مصلحة الجهود الرامية إلى تشجيع السودان، وفى الآونة الأخيرة أدى الاتصال والتنسيق إلى زيادة جهودنا المشتركة والمنفصلة للعمل من أجل تخفيف المعاناة فى السودان، وتشجيع التقدم نحو السلام.

● يتمثل الاستنتاج الأساسي لمهمتى فى أنه لا يمكن لأى طرف كسب الحرب على أساس تحقيق أهدافهما الحالية، لذا فإن هذا هو الوقت المناسب لممارسة ضغط كبير يوصل لحلول توفيقية، فقيادات طرفى النزاع قد أقرت برغبتها فى الوصول إلى حل سلمى للنزاع، ورحبا بالوساطة الأمريكية.

وخلال شهر ابريل تقدم الطرفان بمقترحات إلى «الإيجاد» تقدم إعادة النظر فى مواقفهم السابقة.

● مازالت هناك شكوك وعدم ثقة بين الجانبين، ومازال القتال مستمرا، ويتركز فى الوقت الحالى فى منطقة أعالى النيل، وتكمن الصعوبة فى أن أى ميزة يحصل عليها طرف تعد خسارة بالنسبة للطرف الآخر.

وفى رأيى الشخصى كمصرى محب للسودان شماله وجنوبه، أن مصلحة الطرفين، بل ومصلحة المنطقة، هى فى الوصول إلى وقف إطلاق النار - فى اتجاه السلام - فى أقرب وقت، لكنه أمنية ليست سهلة أو قريبة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

ولو كان الامر بيدى، لقررت نشر تقرير دانفورث كاملا فى إحدى الجرائد القومية (ولو على حلقتين او اكثر)، فكل التعليقات من الأفراد أو الأحزاب المعنية، قدمت رؤيتها بالموافقة أو التحفظ، ولو كان بنصوصه الكاملة متاحا لدى الجميع، لكان الحوار وتقريب وجهات النظر افضل كثيرا، فمعظم المقالات والبيانات منحازة وانتقائية تختار من التقرير عبارات أو جملا مجتزأة قد تحرف المعنى العام، لذلك حاولت - قدر المسطح المتاح لى كل اسبوعين - أن اقدم بعض النصوص ذاتها، وربما اوالى النشر فى مقالات قادمة، ثم أترك للقارئ - أيا كان موقعه - ليستنتج ما يراه من النص. فالهدف هو تقريب وجهات النظر بين السودانيين أنفسهم، وما أكثر أهل الفكر والسياسة فى السودان.

وعلاوة على تقرير دانفورث رغبت أن أسجل أيضا بعض الفقرات من الكلمات التى قيلت ونشرت كاملة فى اجتماع ٥ يونيو ٢٠٠٢ فى اجتماع الاستماع للجنة العلاقات الدولية بمجلس النواباالأمريكى، وهى كلمات دقيقة وصريحة توضح الرؤى الشخصية لمن استدعى لتأدية شهادته بهدف «تحديد الخطط المقبلة على طريق السلام فى السودان»، وأراها أمورا وعبارات فى غاية الأهمية للجهات المتابعة للشأن السودانى فى مصر - وفى غير مصر - واختار تحديدا عبارات معبرة من كلمة رئيس مجموعة إدارة الأزمات الدولية والمسئول عن إفريقيا مستر بريندير جاست، إذ يقول:

«على الرغم من هول هذه الحرب، فإن أبشع أجزائها لم تأت بعد، وإن ما وصلنا إليه من حلول توفيقية بين الحكومة السودانية وجيش تحرير السودان، فإن الأجزاء الأصعب لم تحل بعد وهى حول قضية «تقرير المصير» على الرغم من التزام الحكومة الصريح بهذا المبدأ فى مواثيق سابقة، لكنها تحاول حاليا أن تمنع الوصول إلى هذه النتيجة. فالصراع العسكرى بين الطرفين يزداد ضراوة، خصوصا أن لدى الحكومة تفوقا فى الطيران، فقد قامت بهجمات قوية مع مطلع هذا العام إبان فترة الجفاف أى أشهر وعدم وجود أمطار، ثم استفادت من مجهوداتنا لإيقاف القتال فى منطقة جبال النوبة (وهى غير بلاد النوبة فى جنوب مصر، فجبال النوبة تقع فى جنوب كردفان، وهى مسلمة إفريقية تعانى الأمرين)، فقد نقلت الحكومة قواتها من هناك لكى تعزز قواتها فى مناطق إنتاج البترول فى غرب أعالى النيل، حيث تتوسع الحكومة فى التنقيب عن البترول وإنتاجه، لذا اقامت شبكة طرق قادرة على استقبال تحركات عسكرية فى وقت هطول المطر لحماية مناطق إنتاج البترول والتوسعات القادمة».

ثم يستكمل الخبير خطابه بأن «من أعقد المشكلات المتوقعة على مائدة المفاوضات ستكون علاقة الدولة بالدين، وربما تكون قضية تقرير المصير هى «المقتل» للمفاوضات المقبلة التى ستعقد تحت مظلة «الإيجاد».

«ومن عجب أن وجدت إصرار الجنوبيين على حق الاستفتاء على تقرير المصير، غير مبالين بالصعوبات والتضحيات التى قدموها، أو التى تقع فى انتظارهم، ومن ثم فإن المفاوضات من خلال «الإيجاد» وحدها لن تنجح دون تدخل دولى واسع».

ثم قدم هذا الدبلوماسى الرعديد بريندير جاست عدة رؤى ومقترحات سماها بـ«العصا والجزرة» تدل على خطط مقبلة للضغط الاقتصادى والسياسى لكى يدفع الفرقاء للتحرك نحو القضايا المفصلية، وهو الأمر الذى قد نتعرض له فى مقال مقبل، فالموقف - حتى بالنسبة لأمريكا - ليس سهلا، لذا فالتوجه نحو كل من القاهرة والخرطوم حتى تكون وحدة السودان مفضلة عند الجنوبيين، ثم إدخال كل من الصين وروسيا حتى تتمنع عن مساعدة الحكومة بإمدادات تسليح من عائدات البترول!!

اختم فأناشد كل المعنيين فى الدولة بملف «مستقبل السلام فى السودان» ان يتعاونوا ويجمعوا المعلومات والبيانات والخطط (المنشورة وغير المنشورة) لكى يكون لمصر دور فى إقرار السلام، وإلا فإن العجلة الدولية سوف تدور بصرف النظر عن احتمالات النجاح أو الفشل.. وعلى الله قصد السبيل.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية